

الأحد 20-11-2011

1542- قولٌ على نصّ "تدريبات نجيب محفوظ"

تعتة الوفد

قولٌ على نصّ "تدريبات نجيب محفوظ"

بمناسبة عيد ميلاد شيخي نجيب محفوظ بعد ثلاثة أسابيع تقريبا، وأيضا بمناسبة عام محفوظ، للوفاء ببعض ديننا له، ومع إعادة قراءة محفوظ بنقده مجددا، ونقد نقده، الأمر الذي تجلّى في دورية النقد المخصصة له وجهود اللجنة المنوطة بذلك، أتقدم مترددا بعرض على الإبن والصديق الأستاذ سليمان جودة رئيس التحرير بأن أخصص كتاباتي للوفد لفترة ما - يمجدها هو والقراء- بنشر بعض قراءاتي الخاصة لما تعهدت به من فحص فاستلهم ما أسميته "كراسات التدريب"... التي خطها شيخي بحظ يده وهو يارس التدريب للعودة إلى الكتابة، والتي كنت أطلعها يوما بيوم لأرى تقدمه، وقد قمت بجمعها كراسة كراسة بعد انتهائه من كل كراسة، ثم سلمتها للأستاذ الدكتور جابر عصفور رئيس اللجنة بعد رحيله، ليودعها بين آثاره التي تقوم بجمعها لجنة تخليده ذكراه، ثم إنّي أخذت نسخة مصورة بإذن المجلس واللجنة، لأبدأ هذا العمل الذي يبدو أنه لن ينتهي في حياتي، فقد أنجزت خلال عام تقريبا من قراءة، فإستلهم، ما أسميته: "قول على نص" 44 صفحة من صفحات التدريب لا أكثر، وبلغت هذه القراءة بتداعياتها الطليقة حتى الآن 217 صفحة من الحجم الكبير (A4)، فمتى يا ترى يمكن أن تنتهي؟.

لكن دعوني أولا أحكى بإيجاز ماهية هذا التصور ببعض ما سجلته في العدد الأول من دوريته:

في السنة الأولى كنت أفرح فرحا لا يخفى حين أنجح أن أقرأ حرفا واحدا من بين كل ما "شخبط"، بدأت الحروف تتميز في شكل هلامي أسفل يسار كل صفحة. لم أسأله، تبينت بعد ذلك أنه توقيع، اسمه، لكن ماذا تحت ما يشبه التوقيع؟ أشكال أخرى ليست حروفا، وبعد شهور تبينت أنها أرقام، فهو التاريخ... "كنت أعيش مع شيخي نجيب محفوظ تلك الاحتفالات بولادة أي حرف جديد وسط "الشخبطة" العنيدة المتكررة، كنا ننتهت على الورق، هو كتابة وأنا قراءة، ومع ذلك لم يكن الحمل عسيرا،

ولم تتوقف فرحتنا بالولادات المتلاحقة الراقصة العابثة: الأولاد الخروف، والبنات الكلمات، كنت أحاورها وهي تلعب شفتيها غامضة على الورق، حتى خيل لي أنها كانت أحيانا تخرج لي لسانها لتثبت لي أنها انتصرت على زعم العجز الدائم حسب تكهينات العلم التقليدي، الأمر الذي تحدها شيوخى ونجح وانتصر له ولنا"

أثناء قراءة الآن لما كتبت من تداعيات طليقة على هذه النصوص في موقعى، (خلال هذا العام 2011) تذكرت برنامج المرحوم حسن الكرمى في إذاعة لندن، "قول على قول"، مع الفارق طبعا وهو أن المرحوم الكرمى كان يعتمد على موسوعيته وذاكرته، في حين أن اعتمادى أنا هو على عمنا جوجل وخبرتى وعشرتى لشيخى، وبالفرق!!.

عن المنهج:

اكتشفت بعد فحص وقراءة أربعة وأربعين صفحة من صفحات التدريب حتى اليوم 11/11/11 أن منهج قراءة هذا الصفحات يتطور باستمرار، وهو لم يستقر إلى ما أطمئن إليه حتى هذه اللحظة، وقد ظل المنهج يتطور مع تغير العينات المتاحة، ومع اتساع السماح بطلاقة التداعيات، ويمكن إيجاز ما وصلت إليه حتى الآن كما يلي:

أولا: بدأت القراءة بالتعليق الموجز على سطر فسطر، أو فقرة فقررة، وبشكل مرقم أحيانا

ثانيا: رحت آخذ ما كتبه بعد ذلك كمجرد مفتاح لما أتصور أنه خطر له، ولم يكمله، فكنت استوحيه باجتهاد شخصى، وأنا أربط ذكرياتى معه، بمعرفتى به، باستشارة عمنا جوجل، وكنت أجح حيننا وأفضل حيننا.

ثالثا: أخذت أتبين أن ما يظهر مسطورا على الصفحات ليس إلا قمة جبل الوعى فعلا، فأفترض أن ما حضر في وعى شيخى أثناء التدريب هو أعلى "كلية هذا الوعى"، وأريد أن أؤكد على التعبير "كلية الوعى" لأننى أريد أن أنفى أنه تذكر محض، أو أنه معان مقصودة بذاتها، فهو نتاج تحريك تلقائى استجابة لحضور خبرات أكثر منه استعادة ذكرى.

رابعا: رحت أؤكد لى نفسى، وللقارئ أحيانا أن ما يحظر لي من تداعيات يمكن ألا تكون له علاقة بشكل مباشر بما كان يحظر لي بال شيخى أثناء التدريب، ومن هنا استعرت من المرحوم الكرمى بعض عنوان برنامجه.

خامسا: حين بدأ التكرار في نصوص لاحقة يفرض نفسه بعد الصفحة 30 تقريبا صرت أكتفى بالإشارة إلى صفحة تدريب سابقة إلا إذا حضرني جديد، ولا يزال المنهج يتطور حتى الآن.

بعد كل هذا أخلص إلى الاقتراح الذى أعرضه على رئيس التحرير هكذا:

أن أبدا اليوم بنشر مقتطفات من الصفحة الأولى والثانية، وإن كانت لا تمثل إطلاقا ما وصلت إليه بعد نضج المنهج حتى صفحة 44، آملاً في اختبار ترحيب القراء، وفي نفس الوقت رشوة لرئيس التحرير، خاصة وهو يعلم العلاقة التاريخية لنجيب محفوظ بالوفد بالذات، أو دعني أحدد بسعد زغلول والنحاس باشا (أين هم الآن، الحمد لله أنهم جميعا اجتمعوا هناك حتى لا يتألون أكثر مما تألوا، لكنهم يتألون!!)

وهذه هي العينة الأولى: يارب تقنّعك أيها الصديق، يا عم سليمان يا جودة.

ص 1 من الكراسة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

نجيب محفوظ

أم كلثوم

فاطمة

الله مع الصابرين

سبحان الملك الوهاب

يهب الرزق لمن يشاء

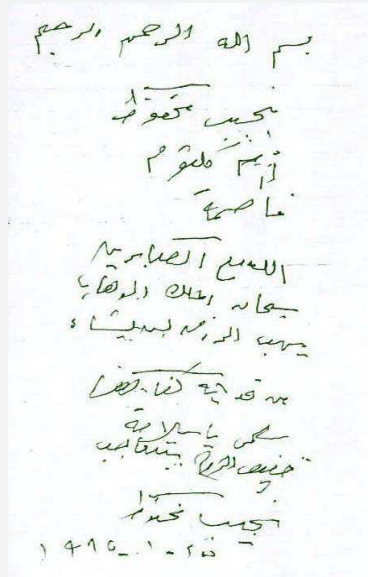
من قد ايه كنا هنا

سلمى يا سلامة

خفيف الروح بيتعاجب

نجيب محفوظ

1995-1-25



القراءة

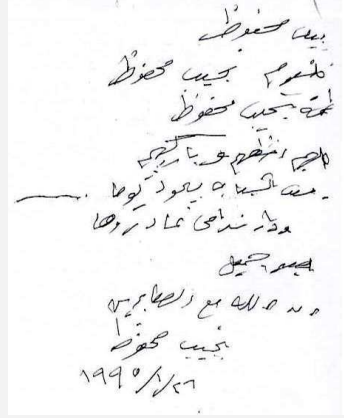
نلاحظ من البداية كيف أنه بدأ بالبسملة، وهذا ما كان يحدث تقريبا طوال فترة التدريب،...، كما أنه بدأ باستجلاب الصبر بعون الله "إن الله مع الصابرين" وهل كان أماننا إلا مثل هذا الصبر الجميل. ونحن نعيش آثار العدوان بهذه الآثار وهذا الحجم

وبعد تسبيحه للملك الوهاب يدعو الله ضمنا ويسلم بعدله، وهو يذكرنا ونفسه أنه يهب الرزق لمن يشاء، ثم تحضره مباشرة خفة ظله، وحبه للطرب "من قد إيه كنا هنا!!!"، يا ترى هل كان يشير إلى عودته للمنزل من المستشفى بعد الحادث والجراحة

قبل أسابيع ؟ الأغلب أن "نعم"، لأنه يلحق ذلك مباشرة بأنه : "سلمى يا سلامة". ليختم قبل التوقيع بأغنية تعلن رضاه وحالته الجميلة: "خفيف الروح بيتعاجب".

ص 2 من الكراسة الأولى

نجيب محفوظ
 أم كلثوم نجيب محفوظ
 فاطمة نجيب محفوظ
 اللهم احفظهم وباركهم
 ليت الشباب يعود يوما
 ودار ندامى غادروها
 الصبر جميل
 إن الله مع الصابرين
 نجيب محفوظ
 1995/1/26



القراءة :

هكذا يتكرر هذا التسلسل في معظم تدريباته، يبدأ باسمه، ثم اسمي كرميته في أغلب ما كتب، ثم ها هو يدعو لهم بكل أبوة حانية أن يحفظهما الله، بل يحفظهم، ثم ها هو يحن إلى الشباب لكنه لا يتحسر عليه "ليت الشباب يعود يوما". لم يصلني أبدا (تقريبا) أنه عاش البكاء على ما فات من أيام المعنى الشائع، فقد كان يجب الحياة، كما يجب الناس، كما يجب الموت، (سيأتي ذلك تفصيلا لاحقا في صفحة 42، كذلك و"دار ندامى" صفحة 10)، ما وصلني هنا - ونحن ما زلنا في الصفحة الثانية- من تلاحق الأسطر الثلاثة: "دار ندامى غادروها" ثم "الصبر جميل". وصلني متسقا مع موقف هذا العظيم الواعي جدا، يربط الموقف الذي نحن فيه آنذاك، بأن له نهاية، كما أن لهذه الدار نفسها نهاية، وأن من يتعلق بها هو الذي يندم عليها وهو يغادرها حتما، فلا أفضل من الصبر، والصبر هنا له صفة عشتها مع شيخي بكل فرحة هي صفة الجمال فعلا (وقد ناقشتها لاحقا أيضا) . للصبر مرارة، وللصبر جمال، وأنا لم أشاهد مرارة الصبر معه أبدا، حتى في أزمت مرضه قبل الأخير، والذي يجعل الصبر جميلا، هو ما أنهى به يوميته هذه

"إن الله مع الصابرين"

وبعد

هل أوصل يا سليمان يا إبنى؟ وهل يمكنك، بأية تكنولوجيا فائقة أن تنزل صورة ما خطه بيده، علما بأن التزمت بأقل من عدد الكلمات كل أسبوع ؟